حفظ الوقت



جمع وإعداد

أ . هيفاء بنت عبدالله الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [سورة آل عمران:١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾ [سورة النساء:١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلاً سَدِيداً * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً﴾ [سورة الأحزاب:٧٠-٧١].

أما بعد:

حديثنا في هذه الساعة عن موضوع مهم، أُهمل الحديث عنه ربما لعدم ادراك قيمته ، حديثنا اليوم عن رأس مال الإنسان، عن أثمن شيء يملكه الإنسان، إلا وهو الوقت، فإنَّ الوقت هو عُمر الإنسان، ورأس مالِه في هذه الحياة؛ ذلك أنَّ كلَّ يوم يمضي على الإنسان يأخذ من عُمره ويُقرِّبه إلى أَجَلِه، يقول الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**ابْنَ آدَمَ، إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ، كُلَّمَا ذَهَبَ يَوْمٌ ذَهَبَ بَعْضُكَ**"(١)، فعلى العاقل أن يستغلَّ ويمضي هذا الوقت الذي مَنَحَهُ الله إياه فيما يرضي الله، وأن يحقِّق لنفسِه السعادة في الدُّنيا والآخرة.

---

(١) حلية الأولياء (١٤٨/٢).

والناظر في حال كثير منّا اليوم، وكيف يقضون أوقاتهم؛ من تضييع وإهدار للوقت؛ يعلم أنهم محرومون من نعمة استغلال العمر، واغتنام الوقت؛ ولذا نراهم ينفقون أوقاتهم، ويهدرون أعمارهم فيما لا يعود عليهم بالنفع.

والعجيب في ذلك فَرَحُ الكثير منهم بمرور هذه الأيام والسنين، وقد علموا أنها تقربهم إلى آجالهم، وتبعدهم عن دنياهم.

إنّ أغلى ما يملكه الإنسان وقته، فهو عمره وحياته، وإنّ العاقل من يعرف قيمة وقته، وشرف زمانه، فلا يقضي ساعةً من عمره إلّا في خيرٍ للدّين أو للدّنيا، حتّى لا يتحسّر عليها يوم يندم النّادمون، ويطلبون الرّجوع فلا يجابون، فلقد أخبرنا عَزَّوَجَلَّ عن أهل النّار الّذين ضيّعوا أوقاتهم في اللّهو واللّعب، والمعاصي والمنكرات فقال سُبْحَانَهُۥوَتَعَالَىٰ: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر:٣٧].

وكلنا يعلم الحكمة المشهورة بين الناس التي تقول: (الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك)، يرددها كثير من الناس كلما ذكر عندهم عظمة الوقت، ولكن القليل من هؤلاء الناطقين بها من يقدر الوقت، أو يحافظ عليه من الضياع، العاقل هو الذي لا ينشغل بدنياه عن أخراه.

ما هو الوقت حتى نعرف قيمته؟

الوقت هو عمر الإنسان، هو مادة حياته إلى السعادة الأبدية أو إلى التعاسة الأبدية، إن الأيام والليالي التي تذهب هدراً عند أكثر الناس هي رأس مال الإنسان في هذه الحياة، هو طريقه للآخرة فكيف يستهين الإنسان به وهو سبب سعادته الأبدية أو شقاؤه إن اضاعه واستهان به.

مما يؤثر عن السلف: **"من علامة المقْتِ إضاعة الوقت"**، بل قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"إِضَاعَة الْوَقْت أَشد من الْمَوْت لِأَن إِضَاعَة الْوَقْت تقطعك عَن الله وَالدَّار الْآخِرَة وَالْمَوْت يقطعك عَن الدُّنْيَا"**(١).

أوقاتنا هي رأس مالنا في هذه الحياة، ومن فرّط في وقته فقد فاته خيرٌ كثيرٌ، فأيّام الله تتسارع، والأزمنة تتلاحق، وكلّ شيءٍ من حولنا يذكّرنا بقيمة الزّمن الّذي نعيشه، فطلوع الشّمس وغروبها، ومنازل القمر وتقلّباته، وحركة الكون والكواكب، واختلاف اللّيل والنّهار، كلّها لتذكّرنا بقيمة الوقت الّذي هو رأس مالنا، ممّا يُوجِب علينا أن ننتهز فرصة أعمارنا بما يفيدنا وينفعنا، قبل أن تنتهي حياتنا وتنقضي أعمارنا فنتأسّف على ماضينا، كما ذكر ربّنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في كتابه عن أهل الحسرة فقال: ﴿يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٤].

إن الآجال منقوصة، فكل يوم يمضي يقرب للأجل، والأعمال محفوظة، كل عمل خيراً كان أم شراً في كتاب مسطور، والموت يأتي بغتة دون أن يطرق الأبواب، فمن زرع خيراً فسيحصد ثوابه وأجره، ومن زرع شراً فسيجد أمامه الحسرة والندامة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"وقتُ الإنسانِ هو عمرُهُ في الحقيقة، وهُوَ مادةُ حياتِهِ الأَبديَّةِ في النَّعيمِ المُقيمِ، ومادةُ معيشتِهِ الضّنْكِ في العَذابِ الأَليمِ، وهُوَ يَمرُّ أسرعَ مِن مرّ السَّحابِ، فَمَا كَانَ مِنْ وقتِهِ لله وبالله، فَهُوَ حَياتُهُ وعُمرُه، وغيرَ ذلِكَ ليسَ محسُوبًا مِن حياتِهِ، وإنْ عاشَ فيهِ عيشَ البهائِمِ فإذا قطع وقته في الغفلة والسهو والأماني الباطلة، وكان خير ما قطعه به النوم والبطالة، فموت هذا خير له من حياته"**(٢).

أصبح الوقت أرخص ما يكون عند البعض، قال ابن هبيرة رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والوقتُ أَنْفَسُ مَا عَنيتَ بحفظِهِ ... وأراهُ أسهلَ ما عليكَ يضيعُ

---

(١) الفوائد (صـ٣١).

(٢) الداء والدواء (صـ٣٥٩).

وانشغل الناس بالدنيا وكأنهم خلقوا لأجلها ، قال عُمَرُ بْنُ عَبْدِالْعَزِيزِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**إِنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ بِدَارِ قَرَارِكُمْ، دَارٌ كَتَبَ اللهُ عَلَيْهَا الْفِنَاءَ**"[١].

فالله تعالى خلق الإنسان واستخلفه على الأرض لغايةٍ عظيمةٍ وهدفٍ سامٍ، حيث قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات:٥٦]، فالغاية من خلق الإنسان تتمثّل في عبادة الله تعالى وإقامة أوامره واجتناب نواهيه، وقد صرّح الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بذلك عندما قال تعالى لآدم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ولإبليس: ﴿قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا ۖ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه:١٢٣].

نحن خُلقنا للعبادة، لم نُخلق للدنيا، هذه هي الحقيقة التي غفل عنها الكثير من الناس، فانشغلوا بما خلق لأجلهم عما خلقوا لأجله، اغتروا بالدنيا مع أن الله تعالى حذر منها وأرشد عباده بعدم الاغترار بها، يقول الرب جَلَّ جَلَالُهُ رحمة بعباده وتذكيراً لهم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [فاطر:٥]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾ [الضحى:٤].

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ، وَالْقَطِيفَةِ، وَالْخَمِيصَةِ، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وَإِنْ لَمْ يُعْطَ لَمْ يَرْضَ**»[٢].

فمن هو التعيس؟ هو مَنْ غلَب حُبُّ دنْياهُ عَلَى حُبِّ دِينِهِ، فهو المسكين فهو الخاسر والمحروم، والله ما أحوجنا في هذا الزمن الذي فيه غرق الناس في وحل الدنيا وَعُبِدَ فِيهَا الدِّرْهَمُ والدِّينَارُ، فمَا أحوجنا جميعًا إِلَى مُراجعةٍ لِلنُّفوسِ.

---

(١) حلية الأولياء (٥/٢٩٢).

(٢) رواه البخاري في صحيحه برقم (٢٨٨٦).

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: «**آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟ وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْبَ أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيهْ، وَايْمُ اللَّهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ**»(١).

حديثٌ عظيم، يعالج وضعَنا الخطير في هذا الزمن، إن من أعظم الفتن تَحَكّم الدنيا في قلوب الكثير من البشر، والغرق في ملذاتها والانقياد وراء شهواتها، وتعلق القلوب بها تعلقاً قاد إلى نسيان الآخرة!

لا أعلم هل نسينا الآخرة أم تناسيناها؟ أين نحن مِن ذكر الآخرة؟ لماذا لم نعد نذكرها؟ ولماذا لم نعمل لها؟

على الرغم من تذكير الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالآخرة كثيرا، والحثّ على العمل لأجلها؛ ليغنم الإنسان ويسعد في تلك الدار: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٥-٦]، معناه: الحثّ على تذكر الموت وما بعده، وهكذا قوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ﴾ [لقمان:٣٣].

فالوقت ثمين، بل كل ثانيه من ثوانيه ثمينه، وكل ثانية تمضي هي خسارة إن لم تكن في طاعة، كل ثانية هي خسارة إن لم نجني فيها خير ينفعنا في آخرتنا، كل يوم والله هو خسارة وحسرة إذا ذهبت هباءً منثوراً.

---

(١) رواه ابن ماجه في سننه برقم (٥)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٩).

قال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا كَانَ أَحَدُهُمْ أَشَحَّ عَلَى عُمُرِهِ مِنْهُ عَلَى دَرَاهِمِهِ وَدَنَانِيرِه**"[١].

فأين نحن من هؤلاء الأقوام!، يا ليتنا نحافظ على أوقاتنا كما نحافظ على أموالنا.

عَنْ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: "**إِنَّ أَحَدَهُمْ لَوْ سَقَطَ مِنْهُ دِرْهَمٌ لَظَلَّ يَوْمَهُ يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ، ذَهَبَ دِرْهَمِي، وَلَا يَقُولُ: ذَهَبَ يَوْمِي، مَا عَمِلْتُ فِيهِ**"[٢].

واغتنموا ما أمركم رسوله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ باغتنامه، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ لِرَجُلٍ وَهُوَ يَعِظُهُ: «**اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ، شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغُلِكَ، وَحَيَاتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ**»[٣].

وأعدوا الأجوبة لما أنتم سائلين عنه يوم القيامة وأنتم واقفون بين يدي الله، فعَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**لَا تَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ، وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ**»[٤].

إن الوقت نعمة مغبون فيها كثير من الناس كما أخبر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحَّةُ وَالفَرَاغُ**»[٥].

---

(١) الزهد والرقائق لابن المبارك (٤/١).

(٢) حلية الأولياء (٣٠٣/٨).

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان برقم (٩٧٦٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٠٧٧).

(٤) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٤١٦)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع برقم (٧٢٩٩).

(٥) رواه البخاري في صحيحه برقم (٦٤١٢).

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ كَانَ إِذَا أَصْبَحَ أَمْسَكَ بِلِحْيَتِهِ ثُمَّ قَرَأَ ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ. ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ*مَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ ثُمَّ يَبْكِي وَيَقُولُ(١):

نَـهَارُكَ يَا مَغْرُورُ سَهْـوٌ وَغَفْلَـةٌ ... وَلَيْلُكَ نَوْمٌ وَالرَّدَى لَـــكَ لَازِمُ
فَلَا أَنْتَ فِي الْأَيْقَاظِ يَقْظَانُ حَازِمُ ... وَلَا أَنْـتَ فِي النُّـوَّامِ نَـاجٍ فَسَالِمُ
تُسَرُّ بِمَا يَفْنَى وَتَفْــــرَحُ بِالْمُنَى ... كَمَا سُرَّ بِاللَّذَّاتِ فِي النَّوْمِ حَالِمُ
وَتَسْعَى إِلَى مَا سَوْفَ تَكْـرَهُ غبه ... كَذلِكَ فِي الدُّنيـا تَعيشُ البَهائِمُ

قـال ابـن الجـوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فَمَـنِ اسْـتَعْمَلَ فَرَاغَـهُ وَصِـحَّتَهُ فِي طَاعَـةِ اللَّهِ فَهُـوَ الْمَغْبُوطُ وَمَنِ اسْتَعْمَلَهُمَا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَهُوَ الْمَغْبُونُ لِأَنَّ الْفَرَاغَ يَعْقُبُهُ الشُّغْلُ وَالصِّحَّةُ يَعْقُبُهَا السَّقَمُ"**(٢).

وجاءت النصوص الكثيرة في الكتاب والسنة النبوية في بيان أهمية الوقت، ومن هذه النصوص أن الله جَلَّجَلَالُهُ أقسم بأجزاءٍ من الوقت والله يقسم بما شاء من مخلوقاته والخلق لا يقسـمون إلا بـه وحـده جَلَّجَلَالُهُ، لأنـه هـو سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ الخـالق، والخلـق خلقـه، والعبيـد عبيـده، والأمـر أمـره، والأرض أرضـه، ويقسـم بمـا شـاء مـن مخلوقاتـه، وإقسـام الله بأجـزاءٍ مـن الوقت دليل على أهميته؛ لأن الله لا يقسم إلا بعظيم، قـال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَالضُّحَى*وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى﴾، ﴿وَالْفَجْرِ*وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾، ﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا*وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا*وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا*وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا﴾، ﴿وَالْعَصْرِ*إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾، وغيرها .

فاستثمار الوقت يجب أن يكون أهم أولويات المسلم في الحياة اليومية، فلا يضيعه الإنسان بلا فائدة يجنيها سواء في الدنيا والآخرة، ولذلك جاءت النصوص الكثيرة من كتاب الله وسنة نبينا محمد صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَعَلَىٰٓالِهِوَسَلَّمَ في بيان أهمية الوقت والحث على اغتمامه وعدم

(١) انظر: تفسير القرطبي (١٣/١٤١).
(٢) فتح الباري لابن حجر (١١/٢٣٠).

تضيعيه فيما لا فائدة فيه، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ*وَأَنفِقُوا مِن مَّا رَزَقْنَاكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ الصَّالِحِينَ*وَلَن يُؤَخِّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا ۚ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [المنافقون:٩-١١]، آية تقصم الظهر، أخشى أن تكون حجةً علينا والله المستعان.

يقول الرب جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا ۚ أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٩].

﴿ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ : أَيْ تَرَكُوا التَّدَبُّرَ وأعرضوا عن الجنة والنار [(١)].

فيجب عدم التفريط بلحظة من لحظات من عمرك، فكل دقيقة مضت لن تعود ولو أنفق المرء ما أنفق في سبيل استرجاع معشار ثانية من وقته فلم يستطيع، فكل نفس جوهرة ثمينة يمكن للمرء اقتناء بها كنز من كنوز الجنة أو سبب في نيل رضا الله، أو أن يثقل بها موازين حسناته يوم توزن الأعمال، ففي يوم الميزان يفرح الطائع، ويتحسر المفرط، ويبكي العاصي، وينوح المضيع لأوقاته والله المستعان.

ومما يدمي له القلب أننا نرى في هذا الزمن من لا يعرف كيف يشغل وقته، ويملأ فراغه، فنسمعه يقول: تعال نضيّع الوقت أو نقتل الوقت! أهكذا كان الصحابة يقولون؟ أو من سار على هديهم يقولون؟

- يذكر أن أحد علماء الشام، كان يمشي مع بعض رفاقه فمر بمقهى فرأى الناس يلعبون، فأطرق مليا، فسئل عن ذلك؟ فقال: لو أن هؤلاء يبيعونني أوقاتهم لاشتريتها.

---

(١) تفسير القرطبي (٧/٣٢٥).

- وقال مُوسَى بْنُ إِسْمَاعِيلَ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "لَوْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي مَا رَأَيْتُ حَمَّادَ بْنَ سَلَمَةَ ضَاحِكًا قَطُّ صَدَقْتُكُمْ، كَانَ مَشْغُولًا بِنَفْسِهِ إِمَّا أَنْ يُحَدِّث، وَإِمَّا أَنْ يَقْرَأَ وَإِمَّا أَنْ يُسَبِّحَ، وَإِمَّا أَنْ يُصَلِّيَ، كَانَ قَدْ قَسَمَ النَّهَارَ عَلَى هَذِهِ الْأَعْمَالِ"(١).

- ويقول ابن الجوزي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "وَفِي الحَدِيثِ: (مَنْ قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيم وَبِحَمْدِهِ، غُرِسَتْ له نَخْلَة فِي الْجَنّةِ)، فَانظُرْ إلى مُضَيّعِ السَّاعاتِ كم يَفُوتُهُ مِنَ النَّخِيلِ!"(٢).

- ومما يقال عن الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه قال: "لو كُلِّفتُ شراء بصلة لما فهمت مسألة"(٣).

- كان جد شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ رحمه الله إذا أراد دخول الخلاء طلب أن يقرأ عليه بصوت مرتفع من أحد طلابه حتى لا يمر عليه وقت بلا فائدة.

- ورد أن داود الطائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ كان يشرب الفتيت ولا يأكل الخبز، فقيل له لماذا؟ قال: "بَيْنَ مَضْغِ الْخُبْزِ وَشُرْبِ الْفَتِيتِ قِرَاءَةُ خَمْسِينَ آيَةً"(٤).

- قال رجل لداود الطائي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أوصني، فدمعت عيناه وقال: "يَا أَخِي، إِنَّمَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ مَرَاحِلُ، تَنْزِلُ بِالنَّاسِ مَرْحَلَةً مَرْحَلَةً حَتَّى تَنْتَهِيَ بِهِمْ ذَلِكَ إِلَى آخِرِ سَفَرِهِمْ، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تُقَدِّمَ فِي كُلِّ يَوْمِ مَرْحَلَةٍ زَادًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ فَافْعَلْ، فَإِنَّ انْقِطَاعَ السَّفَرِ عَنْ قَرِيبٍ مَا هُوَ وَالْأَمْرُ أَعْجَلُ مِنْ ذَلِكَ، فَتَزَوَّدْ لِسَفَرِكَ، وَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ مِنْ أَمْرِكَ، فَكَأَنَّكَ بِالْأَمْرِ قَدْ بَغَتَكَ، إِنِّي لَأَقُولُ هَذَا، وَمَا أَعْلَمُ أَحَدًا أَشَدَّ تَضْيِيعًا مِنِّي لِذَلِكَ" ثُمَّ قَامَ(٥).

---

(١) حلية الأولياء (٦/٢٥٠).

(٢) صيد الخاطر (صـ٥٠٥).

(٣) تذكرة السامع والمتكلم (صـ٧١).

(٤) حلية الأولياء (٧/٣٥٠).

(٥) حلية الأولياء (٧/٣٤٥).

لقد كان سلفنا الصالح يسابقون إلى الخيرات، ويغتنمون الساعات، ويحرصون أن لا تذهب عليهم هدراً، لذلك أعلى الله شأنهم وانتفعوا ونفعوا عباد الله، عرفوا قيمة الوقت فازدادت قيمتهم عند الله وارتفع شأنهم ونفع الله بهم العباد.

فالحذار الحذار من اهدار الأوقات فيما لا ينفع، ومن أحسن ما يعين على حفظ الوقت تذكُّر الموت وتذكر ساعة الاحتضار وما يتمناه المحتضر في هذا الوقت!، الموت يأتي بغتة، كما أنه ليس له سن معلوم، ولا زمن معلوم ولا مرض معلوم، حتى يكون الإنسان على أتم الاستعداد له.

و أخبرنا علام الغيوب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن الموتى يطلبون الرجعة إلى الدنيا عند الموت لما عرفوا وقتها قيمة الحياة وقيمة الآخرة، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ*لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾ [المؤمنون:٩٩-١٠٠].

قال قتادة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**وَاللَّهِ مَا تَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ إِلَى أَهْلٍ وَلَا إِلَى عَشِيرَةٍ، وَلَكِنْ تَمَنَّى أَنْ يَرْجِعَ فَيَعْمَلَ بِطَاعَةِ اللَّهِ**"(١).

فكل مفرّط يندم عند الاحتضار ويسأل التأخير ولو زمناً يسيراً ليستدرك ما فات، ولكن هيهات هيهات، فقد انتهى زمن العمل وحان زمن الحساب والجزاء.

يقول الرب جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر:٩٢- ٩٣].

فالفراغ خطير والوقت ثمين، إن لم يُشغل الوقت بالنافع المفيد شغل بالتافه والسقيم.

ولذا أمرنا رسول الله صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ بالإكثار من ذكر هادم اللذات، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّىٰ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْثِرُوا ذِكْرَ هَاذِمِ اللَّذَّاتِ**»(٢).

(١) تفسير ابن كثير (٥/٤٩٤).

(٢) رواه النسائي في سننه برقم (١٨٢٤)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (١٢١٠).

قال ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "«**أكثروا ذكر هادم اللَّذات» الموت، يعني: اجعلوه على بالكم كثيرًا حتى تعدوا العدّة، والهادم: القاطع؛ لأنَّه يقطع اللَّذات في الدنيا، ولكنه يُدني من لذَّات الآخرة، ويُقرِّب من لذَّات الآخرة، وأولها ما يحصل له في قبره، ولروحه في الجنة، فهو يقطع لذَّات الدنيا، ولكنه في حقِّ المؤمن ينقله إلى لذَّات الآخرة ولذَّات الجنة وما يحصل فيها من الخير العظيم، فإنَّ روح المؤمن طائرٌ يعلق بشجر الجنة حتى يردَّه الله إلى جسده، كما جاء في الحديث الصَّحيح. فالغفلة عن الموت وعمَّا بعد الموت من أسباب الطُّغيان والفساد والاستمرار في الشَّر، أمَّا تذكر الموت وما بعده فهو من أسباب التَّوبة والإقلاع والاستعداد للآخرة**"(١).

فعلينا من الإكثار من ذكر الموت، فكلما جلسنا في مجلس كثر فيه اللغط، أو وكثر فيه الحديث عن الدنيا، أو لذات الدنيا وشهواتها والبيع والشراء والتجارات والعقارات، أو الطبخات والمشتريات وأشهر الماركات، أو متابعة أحوال المشهورات أو أحدث الأفلام والمسلسلات وما أشبه ذلك، اذكروا هاذم اللذات كما أمركم رسولكم، ذكروهم بأنه لا بد من قدومه، فلابد لنا من ذكره في المجالس، وأن يتذكره الإنسان أيضاً فيما بينه وبين نفسه حتى لا يضيع وقته فيما لا ينفعه في آخرته، فنتحسر على إضاعة الوقت يوم لا تنفعنا الحسرة.

وكما أن أشد ساعات الندم والحسرة على الإنسان حين يؤتى بصحيفة عمله يوم القيامة، فيرى فيها الخزي والعار، قال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَجِيٓءَ يَوۡمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوۡمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلۡإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ * يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر:٢٣-٢٤]، وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ وَأَسۡلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ * وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ * أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ [الزمر:٥٤-٥٦].

---

(١) شرح بلوغ المرام لابن باز، من موقع الشيخ.

وقوله: ﴿يَا حَسْرَتَا﴾ يعني أن تقول النفس: يا ندماً يا حسرتاً، وقوله: ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ يقول: على ما ضيعت من العمل بما أمرني الله به، وقصرت في الدنيا في طاعة الله.

وقال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ أي: لو ردوا للدنيا لعملوا الصالحات.

وقف الحسن البصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ على شفير قبر ثم التفت لرجل معه وسأله: أتراه لو رجع إلى الدنيا ما يعمل؟ قال: يصلي ويستغفر ويتصدق ويُسبّح، فقال الحسن: "قد فاته ذاك فلا يفوتك".

فبادروا بالأعمال الصالحة قبل فوات الأوان، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ سَبْعًا هَلْ تُنْظَرُونَ إِلَّا إِلَى فَقْرٍ مُنْسٍ، أَوْ غِنًى مُطْغٍ، أَوْ مَرَضٍ مُفْسِدٍ، أَوْ هَرَمٍ مُفَنِّدٍ، أَوْ مَوْتٍ مُجْهِزٍ، أَوِ الدَّجَّالِ فَشَرُّ غَائِبٍ يُنْتَظَرُ، أَوِ السَّاعَةِ فَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ**»(١).

في هذا الحديث؛ الحث على المسارعة والمسابقة على فعل الأعمال الصالحة قبل مجيء سبعة أشياء كلها محيطة بالإنسان؛ يخشى أن تصيبه يوماً من الأيام، فعلى الإنسان أن يُبادر بالأعمال الصالحة قبل أن ينزل به ما يحول بينه وبين العمل.

فعمر الإنسان الحقيقي هو ما أمضاه في طاعة الله، ومن كان هذا حاله فهو من خير الناس، وأما من أمضاه في اللهو والعبث والإعراض فهو من شر الناس.

فعن أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ النَّاسِ خَيْرٌ، قَالَ: «**مَنْ طَالَ عُمُرُهُ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ**»، قَالَ: فَأَيُّ النَّاسِ شَرٌّ؟ قَالَ: «**مَنْ طَالَ عُمُرُهُ وَسَاءَ عَمَلُهُ**»(٢).

---

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٣٠٦)، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع الصغير برقم (٢٣١٥).

(٢) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٣٣٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٣٢٩٧).

أي: أفضلُ النَّاس من طال عُمرُه؛ لأنه استفاد من طولِ عمره في الزّيادةِ من حسناته، بفعل الطَّاعات واتّباع أوامر الله ورسوله، وهذا خير الناس ومن كان هذا حاله فاز بالحُسنَيين. ثم سأل الرجل الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ عن نقيض هذا، قال: "فأيُّ النَّاسِ شرٌّ؟"، فدَلَّه النَّبيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ على صِفاتِ مَن هو شرُّ النَّاسِ، فقال: "مَن طال عُمرُه وساء عَملُه"، أي: أن أسوأُ الناسِ من طال عمره، وقضاه في الأعمال السيئة، وفي المعاصي واقتراف أنواع المحرمات، فمن كانت هذه حاله، لا شك أنه كلما زاد عمره زادت سيئاتُه بسوء عمله، وهذا يدل على تعاسةِ ما سيلاقيها في الدارين، فموت هذا خير من حياته.

فالإنسان مخير بين هذان الطريقان، ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ فمن فضل الله وكرمه أن عرَّف الإنسان سبيل هدايته، ولم يتركه هملاً، وعرَّفه ما يسيئه ويضره حتى يتجنبه، فيجب على المسلم استغلال وقته فيما ينفعه في دنياه ودينه، وما يعود عليه بالسعادة والخير؛ لأنّ الوقت الذي يذهب لا يعود، لذلك لا بدّ من الحرص على ألا يمرّ يوم إلا في عمل صالح أو مجاهدة النفس وكفها عن الأعمال السيئة أو إضاعة وقته فيما لا ينفعه.

قال عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي رَحِمَهُ اللَّهُ عن حاله مع أبيه: "**رُبَّمَا كَانَ يَأْكُلُ وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَيَمْشِي وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَيَدْخُلُ الخَلاَءَ وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ، وَيَدْخُلُ البَيْتَ فِي طَلَبِ شَيْءٍ وَأَقْرَأُ عَلَيْهِ**"(١).

فكانت ثمرة هذا المجهود وهذا الحرص على استغلال الوقت كتاب الجرح والتعديل في تسعة مجلدات، وكتاب التفسير في مجلدات عدة، وكتاب السند في ألف جزء.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "**إِنِّي لَأَمْقَتُ الرَّجُلَ أُرَاهُ فَارِغًا، لَا فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ وَلَا فِي أَمْرِ آخِرَتِهِ**"(٢).

(١) سير أعلام النبلاء (١٣/٢٥١).
(٢) الزهد لأبي داود (صـ١٧١).

ليس المقصود من عمل الدنيا الانشغال بالتفاهات كما قد يعتقد البعض، ليس هذا مراده، إنما بطلب الرزق الذي يعينه على دنياه، أو في المباحات التي يروح بها عن نفسه ليتقوى على طاعة الله.

وليس المراد ب(**لَا فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ**) بقضاء الأوقات في الأسواق وإضاعة الأعمار بمشاهدة المسلسلات، أو ذهاب الأوقات على الجوالات، فوالله لو قضى الناس نصف الوقت الذي يقضونها على جوالاتهم في الأعمال الصالحة لجنوا الكثير من الحسنات الباقيات، والله لو قضى الناس نصف الوقت الذي يقضونه في اليوم على جوالاتهم في طلب العلم لصار أكثر الناس علماء، والله لو قضى الناس نصف الأوقات التي يقضونها على الجوالات في حفظ القرآن لحفظوه، والله المستعان وإنا لله وإنا إليه راجعون، نعم استرجع إنا لله وإنا إليه راجعون، لأن من أعظم المصائب إضاعة الوقت في المباحات التي لا تسمن ولا تغني من جوع، والأعظم والأمر إضاعته في المعاصي والذنوب والمحرمات.

يقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران:٣٠].

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**يَعْنِي: يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْضُرُ لِلْعَبْدِ جَمِيعُ أَعْمَالِهِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ كَمَا قَالَ تَعَالَى:** ﴿يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ **فَمَا رَأَى مِنْ أَعْمَالِهِ حَسَنًا سَرَّهُ ذَلِكَ وَأَفْرَحَهُ، وَمَا رَأَى مِنْ قَبِيحٍ سَاءَهُ وَغَاظَهُ، وَوَدَّ لَوْ أَنَّهُ تَبَرَّأَ مِنْهُ، وَأَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا أَمَدٌ بَعِيدٌ، كَمَا يَقُولُ لِشَيْطَانِهِ الَّذِي كَانَ مُقْتَرِنًا بِهِ فِي الدُّنْيَا، وَهُوَ الَّذِي جرَّأه عَلَى فِعْلِ السُّوءِ:** ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾ "(١).

فاتقوا الله واعلموا أن للعبد رب هو ملاقيه وبيت هو ساكنه، فعلى الإنسان أن يعمر بيته قبل انتقاله إليه، فسابقوا وسارعوا إلى الأعمال الصالحة فهي الموصلة لسلعة الله الغالية.

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/٣١).

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴾ [الحديد:٢١].

عَن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: «**أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ غَالِيَةٌ، أَلَا إِنَّ سِلْعَةَ اللَّهِ الجَنَّةُ**»(١).

أبواب الجنة مفتوحة أمامك الآن، أقدمي بكل ما أوتيتي من قوة لنيلها.

قال سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ ﴾ [ص:٥٠].

قال السعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**أي: مفتحة لأجلهم أبواب منازلها ومساكنها، لا يحتاجون أن يفتحوها هم، بل هم مخدومون، وهذا دليل أيضا على الأمان التام، وأنه ليس في جنات عدن، ما يوجب أن تغلق لأجله أبوابها**"(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**إذا دخلوا الجنة لم تغلق أبوابها عليهم بل تبقى مفتحة كما هي...في تفتيح الأبواب لهم إشارة إلى تصرفهم وذهابهم وإيابهم وتبوئهم في الجنة حيث شاؤوا، ودخول الملائكة عليهم كل وقت بالتحف والألطاف من ربهم، ودخول ما يسرهم عليهم كل وقت، وأيضاً إشارة إلى أنها دار أمن لا يحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كانوا يحتاجون إلى ذلك في الدنيا**"(٣).

الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر كما في الحديث الصحيح، وما هي إلا أياماً يقضيها الإنسان فيها، بها ثم تبدأ حياته الحقيقية الأبدية، فليصبر الإنسان عن ملذاتها وفتنها، فإن الصابر له العاقبة الحسنة، الصابر له العاقبة الحميدة.

---

(١) رواه الترمذي في جامعه برقم (٢٤٥٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٦٢٢٢).

(٢) تفسير السعدي (صـ٧١٥).

(٣) حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح (صـ٥٤).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فلما كان في الصبر الذي هو حبس النفس عن الهوى خشونة وتضييق؛ جازاهم على ذلك نعومة الحرير وسعة الجنة"**(١).

وأعظم نعيم الجنة هو رؤية وجه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، عَنْ صُهَيْبٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: **«إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، قَالَ: يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟ قَالَ: فَيَكْشِفُ الْحِجَابَ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»**، وفي رواية: وزادَ ثُمَّ تَلا هذِه الآيَةَ: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(٢).

ويقول المولى جَلَّ جَلَالُهُ: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد:١٢].

فاعملوا فعلى قدر اعمالكم يكون مروركم على الصراط، قال ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: **"عَلَى قَدْرِ أَعْمَالِهِمْ يَمُرُّونَ عَلَى الصِّرَاطِ، مِنْهُمْ مَن نُورُهُ مِثْلُ الْجَبَلِ، وَمِنْهُمْ مَن نُورُهُ مِثْلُ النَّخْلَةِ، وَمِنْهُمْ مَن نُورُهُ مِثْلُ الرَّجُلِ الْقَائِمِ، وَأَدْنَاهُمْ نُورًا مَن نُورُهُ فِي إِبْهَامِهِ يتَّقد مَرَّةً وَيُطْفَأُ مَرَّةً"**(٣).

فعلى المسلمين أجمعين أن ينشغلوا بعبادة الله، ويسعون إلى دخول الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا إذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ بالعمل الصالح، وعمارة أوقاتهم بما يقربهم إلى سلعة الله الغالية.

إن أول منازل الإنسان المهد، وآخرها اللحد، والوطن الحقيقي للإنسان هو الجنة أو النار، وهو مسافر إليه، فالدنيا دار عبور، والعمر مسافة السفر، وأمر الإنسان بالتزود في سفره هذا بتقوى الله، ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ﴾ [البقرة:١٩٧]، فمن تزود بهذا الزاد فقد

---

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (صـ٤٨٠).

(٢) رواه مسلم في صحيحه برقم (١٨١).

(٣) تفسير ابن كثير (١٥/٨).

أفلح وفاز بلقاء الله تعالى في دار السلام مع الملك الكبير، في النعيم المقيم، وأما من قضى عمره في غير طاعة الله؛ فقد خاب وخسر، وهو متعرض في يوم التغابن لغبينة وحسرة ما لها منتهى، فالعاقل من يغتنم بقايا عمره في طاعة الله، ويستدرك ما بقي من عمره في مراضي الله، فاغتنموا صحتكم فيما يرضي الله، واستعينوا بالله على صيام النهار وقيام الليل وطلب العلم الذي هو من أجل القربات ومن أعظم ما تصرف فيه الأوقات، قبل أن يبتلى الإنسان بالمرض فيتمنى الصوم فلا يستطيع، وأن يصلي قائماً فلا تحمله قدماه، فما أكثر من تحسر وتندم على أيام كان فيها قادراً على الصيام والقيام والانشغال بطلب العلم وغيرها من العبادات، وكانت لديه القدرة والفرصة، لكن تركها وسوَّفَ وتغافل عنها.

وفي الحديث الشريف السابق: **(وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغُلُكَ)** فراغك بما ينفعك من صالح الأعمال قبل أن تشغل، وهنالك في وسط الشغل تتمنى ساعة تقرأ فيها كتاباً، أو تحضر فيها درساً فلا تجد، فتندم على ما ضيعت من ساعات بل سنين وأعوام ذهبت هباءً منثوراً، في حين دقائق منها في استطاعته أن يعمل أعمالاً لا تساوي الدنيا وما فيها، ويتعلل البعض بعدم وجود الوقت للديه لحضور مجالس العلم مثلا، أو لحفظ القرآن، وهذا تحايل على نفسه لأنه يعلم أن وقته قضاه وذهب فيما لا ينفعه.

سبب إضاعة الوقت:

وأما سبب إضاعة الوقت عند أغلب الناس هو عدم إدراكهم قيمة الوقت، فالإنسان إذا عرف قدر الشيءِ وقيمته حافظ عليه، وحرص عليه من الضياع، أمَّا إذا كان جاهلاً بقيمته فسيضيعه ولا يهتم به؛ إذ لا يُتصور من عاقل أن يعلم قيمة العمر الذي منحه الله إليه وأنها حياة واحدة فقط، وفرصة له لن تتكرر، ثم يضيّعه في اللهو واللعب!! وكما قيل: "من عرف مقدارَ ما يطلبُ هان عليه مقدارُ ما يبذلُ".

وهناك سبب آخر لإضاعة الوقت وهو طول الأمل، فاحذروا من طول الأمل، فإن طولَ الأملِ يضيّع ساعاتِ العمر النفيسة في اللَّهْثِ وراء الدنيا الفانية، حتى يأتي الأجل

الذي يقطع هذه الآمال التي منى بها نفسه، وحينها تذهبُ نفسه حسراتٍ عليه، على ما فرط في عمره، وأضاع من وقته.

فالعاقل هو من يشمر عن ساعده لاغتمام أوقات عمره في هذه الدنيا الفانية القصيرة التي سرعان ما تنقضي بما ينفعه في الآخرة، الإنسان إذا لم يشغل وقته في الخير شغل وقته في الشر.

أسباب معينة على إضاعة الوقت:

- رفقة السوء، فإن رفقة السوء إذا جالستيهم أضاعُوا وقتَك فيما لا فائدةَ فيه، من الكلام الفارغ، والحواراتِ التافهة التي لا تنفع، فالبعض يمضي الساعات الطويلة في الحوارات العقيمةِ التي لا تنفع بل والله تضرُّ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيصْمُتْ**»(١). فالذي يعرفُ قدرَ لحظاتِه وشرفَ أيامِه لا يُضيّعُ وقتَه في الكلام الذي لا ينفعه.

- احذروا مواقعُ التواصل وشبكاتُ الإنترنت – الجوال-: انتشرت مواقعُ التواصل الاجتماعي بقوة في هذه الأيام، وضيَّع كثيرٌ من الناس أوقاتَهم في الدخولِ عليها ليلًا ونهارًا، كوني حذرة من أن تقعي فريسةً لها فتلتهِمُ وقتَك، فهذا الجوال الذي بين يديك معظم وقتك أضاع عليك الخير الكثير، فأغلب الناس ينام وهو آخر ما اطلع عليه ويستيقظ من نومه وأول ما يطلع عليه جواله، خصصي وقت للجوال، لا تتركي الجوال يتحكم في حياتك، ويلتهم جل وقتك الذي هو عمرك الذي ينبغي أن تقضيه فيما ينفعك.

- احذروا من إضاعة وقتكم في القنواتُ الفضائية: لا نكاد نجد بيتاً اليوم إلا وفيه تلفاز، ومع كثرة القنوات الفضائية تشتَّت الناس واحتاروا أي قناة يشاهدون؟ وأي برنامج يتابعون؟ وأي مسلسل يشاهدون؟ وتفننت القنوات الفضائية في جذبِ عقولِ المشاهدين وافسادها، وأضاعت الكثير من أوقاتهم، فاحذروا من السّهر في متابعة الأفلام السّيئة،

(١) متفق عليه.

والمسلسلات الهابطة، فأنتِ مسؤولة يوم القيامة عن وقتك، وماذا ستجيبن ربك عندما تقفين بينك وبينه وليس بينكما ترجمان وسألك الله عن عمرك فيما أفنيتيه؟ فلا تغرقي مع الغارقين، ولا تضيعي مع الضائعين في مشاهدة ما لا ينفعك في أخراك، ولا تضيعي ما منحه الله لك للوصول إلى اعلى الدرجات في الجلوس أمام تلك الأجهزة التي والله ما جلبت إلا الدمار.

- احذروا من كثرةُ الأكلِ والنومِ: وقد قيل: "**لا تأكل كثيرًا، فتشرب كثيرًا، فتنام كثيرًا، فتخسر كثيرًا**"، وتذكري أن أمامك نومة طويلة، **تذكري نومتك في القبر** فلا تكثري من النوم في الدنيا حتى تتنعمي في نومة القبر، فإن النعيم لا يدرك بالنعيم، والراحة لا تنال بالراحة.

- احذروا من الانشغال بالتوافه: ككثرةُ الزياراتِ التي لا فائدة منها، وكثرة التنزه وما يصاحبه من التعرض للفتن، وكثرة الذهاب للأسواق التي هي شر الأماكن ومقرا للشياطين، وإن كان لابد منها فقليل من الوقت بل أقل من القليل، ما ينبغي أن تصرف الأوقات في تلك الأماكن، ولا إضاعتها في التوافه.

لقد أضاع الكثير من الناس أوقاتهم في الانشغال بالتفاهات، فهذه الجماهير الغفيرةُ من البشر قد تركوا أعمالَهم وفرَّغوا أوقاتَهم لمشاهدة مباراة كرة قدم، وهذا رجلٌ قد أمضى أثمن ساعاتِ عمره في متابعةِ أخبار العالم لأوقات طويلة لمجرَّد التسلية، وهذه تصرف جُلَّ أوقاتها في متابعة المشاهير، وتلك تغوص في عالم الإنترنت لتتابع فلانة وعلانة وكأن الوقت أرخص ما يكون لديهم.

أختم بسورة عظيمة قال عنها الشافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: "**لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم**"[١].

قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿ وَالْعَصْرِ*إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ*إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴾ [سورة العصر].

---

(١) تفسير الشافعي (٣/١٤٦١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"فَجِهَادُ النَّفْسِ أَرْبَعُ مَرَاتِبَ أَيْضًا:**

إِحْدَاهَا: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى تَعَلُّمِ الْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ الَّذِي لَا فَلَاحَ لَهَا وَلَا سَعَادَةَ فِي مَعَاشِهَا وَمَعَادِهَا إِلَّا بِهِ، وَمَتَى فَاتَهَا عِلْمُهُ شَقِيَتْ فِي الدَّارَيْنِ.

الثَّانِيَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الْعَمَلِ بِهِ بَعْدَ عِلْمِهِ، وَإِلَّا فَمُجَرَّدُ الْعِلْمِ بِلَا عَمَلٍ إِنْ لَمْ يَضُرَّهَا لَمْ يَنْفَعْهَا.

الثَّالِثَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَتَعْلِيمِهِ مَنْ لَا يَعْلَمُهُ، وَإِلَّا كَانَ مِنَ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْهُدَى وَالْبَيِّنَاتِ، وَلَا يَنْفَعُهُ عِلْمُهُ، وَلَا يُنْجِيهِ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ.

الرَّابِعَةُ: أَنْ يُجَاهِدَهَا عَلَى الصَّبْرِ عَلَى مَشَاقِّ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ وَأَذَى الْخَلْقِ، وَيَتَحَمَّلُ ذَلِكَ كُلَّهُ لِلَّهِ.

فَإِذَا اسْتَكْمَلَ هَذِهِ الْمَرَاتِبَ الْأَرْبَعَ صَارَ مِنَ الرَّبَّانِيِّينَ"(١).

فكونوا من هؤلاء الربانيين، وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"أقسم الله بهذا العصر على أن كل إنسان من بني آدم، فهو في خيبة وخسر مهما كثر ماله وولده وعظم قدره، وشرفه إلا من جمع هذه الأوصاف الأربعة"**(٢).

فليكثر الإنسان لنفسه بالدعاء بأن يحفظ الله وقته ويصرفه في مراضيه، الدعاء له أثر عظيم في فتح أبواب الخير، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **"الدُّعاءُ مِفتاحُ كلِّ خيرٍ"**(٣).

---

(١) زاد المعاد (٣/٩).

(٢) الضياء اللامع من الخطب الجوامع (٢/٣٨٥).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/٦٦١).

كل خير ترتجيه وتتمنيه وتريديه من خيرات الدنيا والآخرة فاطلبيه من الله فهو القادر سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ على جلبه وتيسيره لك، وقد وعد سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من دعاه والتجأ إليه بالإجابة، فقال الكريم سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر:٦٠]، أمر عباده بالدعاء ووعدهم بالإجابة، عَنْ مُطَرِّفٍ بن الشِّخِّير رَحِمَهُ ٱللَّهُ قَالَ: **"تَذَكَّرْتُ مَا جِمَاعُ الْخَيْرِ فَإِذَا الْخَيْرُ كَثِيرٌ: الصَّوْمُ وَالصَّلَاةُ وَإِذَا هُوَ فِي يَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَإِذَا أَنْتَ لَا تَقْدِرُ عَلَى مَا فِي يَدِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا أَنْ تَسْأَلَهُ فَيُعْطِيَكَ، فَإِذَا جِمَاعُ الْخَيْرِ الدُّعَاءُ"**(١).

فأكثري من الدعاء، اللهم اعني على مراضيك من الأعمال الصالحة، اللهم احفظ وقتي فيما ينفعني وفيما يرفعني في عليين، ألحي على الله، التمسي أوقات الاستجابة، تضرعي له بأن يحفظ وقتك ويعمره بالخير، فأوْقاتنا هي رأس مالنا في هذه الدنيا، ومن فرّط في وقته وعمُره فقد فرّط في خير كبير.

أسأل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يوفقنا جميعاً لما فيه خير لنا ولأهلنا ولبلدنا، وأن يملأ يومنا صلاحاً وفلاحاً. وأسأله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بأسمائه الحسنى وصفاته العليا، أن يوفقنا وإياكن لما يحبه ويرضاه، وأن يتقبل منا ومنكن صالح الأعمال، وأن يتولانا وإياكن في الدارين، وأن يجعل خير أعمالنا خواتيمها، وخير أيامنا يوم نلقاه، وأن يبيض وجوهنا وإياكن بنور الإيمان، وأن يتولانا في من تولى، وصلى الله على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



(١) الزهد لأحمد بن حنبل (صـ١٩٥).